المؤرخ الموصلي ابن الأثير وكتابة في تاريخ الدول الأتابكية

م.د. محمد ميسر محمد بهاء الدين اليازجي

جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم التربية الإسلامية

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٤/١٠ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٠/٢٣)

ملخص البحث: ان للتاريخ الاسلامي دور مهم في تسجيل الاحداث والتواريخ التي تمر على العالم الاسلامي وهذا التوثيق لهذه الاحداث نابع من الوازع الديني والانتماء لهذه الامة وقد سجل لنا القران الكريم الكثير من القائع التاريخة للدول والشعوب . يتناول البحث كتاب التاريخ للمؤرخ الموصلي في توثيق جوانب مهمة من تاريخ الدولة الاتابكية والتاريخ السياسي عن الأسرة الزنكية التي حكمت مدينة الموصل وحروبها مع الصليبيين . ويعد هذا الكتاب مصدرا مهما من مصادر التاريخ المحلي والذي إعتمده الكثير من علماء التاريخ الاسلامي القديم والجديد . قسّم البحث الموسوم بـ(المؤرخ الموصلي ابن الأثير وكتابة في تاريخ الدولة الاتابكية)إلى ثلاثة محاور يتناول المحور الأول: حياة المؤرخ ابن الأثير من حيث أسمه ، ولقبه، وولادته، وأسرته، ومكانته العلمية، ووفاته، فضلاً عن تسليط الضوء على شيوخه وتلامذته.أما المحور الثاني: فقد تطرق إلى موارد ابن الأثير في سرد رواياته التاريخية ، وهي الموارد الشفوية، والموارد التحريرية، فضلاً عن الوثائق والخطب والتقارير والرسائل وغيرها، وانه كان شاهد عيان لبعض المواقع العمرانية في الموصل والتي وصفها في كتابه .

أما المحور الثالث : من البحث فقد وصف فيه الباحث منهج ابن الأثير في كتابه التاريخ من حيث استخدامه للتعابير البلاغية كالسجع والكناية والأساليب البيانية، وأيضاً ميله إلى الاختصار في سرد الأحداث، والاستعانة بالأمثال والشعر وغير ذلك . إعتمد الباحث في كتابة البحث على عدد من المصادر الأولية كمصنف وفيات الأعيان لابن خلكان، ومصنفي ابن العديم بغية الطلب وزبدة الحلب، ومصنف ابن المستوفي تاريخ أربل، وأيضاً مصنف الصفدي الوافي بالوفيات وغيرها .

Abstract: Islamic history plays an important role in recording the events and dates of the Islamic world. The documentation of these events stems from the religious faith and belonging to this nation. The Holy Qur'an recorded many of the historical records of the countries and peoples. The research deals with the history book of the Musli historian in documenting important aspects of the history of the Atabian state and the political history of the Phoenician family that ruled the city of Mosul and its wars with the Crusaders. This book is an important source of local history, which was adopted by many scholars of ancient and new Islamic history. The research section of the history of Al-Atheer and writing in the history of the Atabic state is divided into three axes. The first topic deals with the life of the historian, the son of the aether, in terms of his name, surname, birth, family, scientific status and death, as well as highlighting his elders and students. As for the second axis, he referred to Ibn al-Atheer's resources in the narration of his historical narratives: oral resources, editorial resources, documents, speeches, reports, letters, etc. He was an eyewitness to some of the urban sites in Mosul described in his book. As for the third axis of the research, the researcher described the approach of Ibn al-Atheer in his history book in terms of its use of rhetorical expressions such as masjid, metaphor and graphic methods, as well as its tendency to shorten the narration of events and the use of proverbs, poetry,The researcher relied on a number of primary sources, such as the mortality of the high-caliber of Ibn Khalkan, the Ibn al-Adim plant in order to request and the milking of milk, the son of the deceased, the history of Arbel, and also the Safadi classification of mortality and others.

حياته:

١- اسمه ولقبه:

هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني[١]، والمعروف بابن الأثير الجزري الموصلي، والملقب بعز الدين[٢].

٢- ولادته:

ولد ابن الأثير في جزيرة ابن عمر، من أعمال الموصل، في يوم الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م[٣]، ثم انتقل والده به وبأخويه إلى الموصل في سنة (٥٧٩ هـ/ ١١٨٤ م) حيث أقاموا بها إقامة دائمة.

٣- أسرته:

نشأ ابن الأثير في أسرة إشتهرت بالعلم والثقافة، فكان والده على جانب كبير من الثراء، إذ كان يمتلك العديد من البساتين[٤]، فضلاً عن أنه كان يعمل بالتجارة[٥]. ويعتقد أنه كان موظفاً في جزيرة ابن عمر في عهد الدولة الزنكية[٦]، ثم إنه كان يتولى الخزانة وإدارة الأراضي الزراعية في عهد قطب الدين[٧]، وكانت له مكانة كبيرة لدى الأسرة الزنكية.

وكان لابن الأثير إخوان، الأكبر هو أبو السعادات المبارك ويلقب بمجد الدين صاحب كتاب (جامع الأصول)، وصفه ياقوت الحموي[٨] بقوله "كان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقه"، وفضلاً عن اشتغال مجد الدين بتحصيل العلم، فإنه عمل موظفاً في الموصل لدى الدولة الأتابكية[٩].

أما الأخ الأصغر لابن الأثير فهو أبو الفتح نصر الله الملقب بضياء الدين اشتهر بالآداب فحفظ الكثير من الأشعار، وذكر ذلك بقوله "وكنت حفظت الأشعار القديمة والمحدثة ما لاأحصيه كثرة ثم إقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين. . . أبي تمّام وأبي عبادة البحتري وشعر أبي الطيب المتنبي، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة. . ." [١٠]. كما أن ضياءالدين إتجه إلى الانشغال في خدمة الأمراء سواء في الموصل أم في بلاد الشام لدى الدولة الأيوبية فأصبح كاتباً للإنشاء.

لذلك نلاحظ أن الأخوة الثلاثة كانوا على درجة كبيرة من المعرفة فإذا كان مجد الدين قد تخصصه بالعلوم الدينية واللغوية، وضياء الدين بالعلوم الأدبية، فقد اتجه الأخ الأوسط ابن الأثير إلى علم الحديث والتاريخ .

٤- مكانته العلمية:

كان ابن الأثير لا يقل ثقافة ومكانة علمية عن أخويه، فقد وصفه الحنبلي[١١] "... إماماً نسابة مؤرخاً إخبارياً أديباً نبيلاً محتشماً ..."، وقال عنه ابن خلكان[١٢]" كان بيته بالموصل مجمع الفضلاء اجتمعت به بجلب فوجدته مكمل الفضائل والتواضع وكرم الأخلاق فترددت إليه"، وذكره الذهبي[١٣] فقال "كان صدراً معظماً كثير الفضائل وبيته مجمع الفضلاء"، وقال ابن كثير[١٤] عنه "الإمام العلامة ..."

لقد برع ابن الأثير في نوعين من الثقافة هما الثقافة الدينية واختار منها علم (الحديث) وتخصص فيه حتى أصبح كما يقول ابن خلكان[١٥]" إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به"، والثقافة الأدبية واختار منها (التاريخ) فأبدع فيه فقال عنه ابن خلكان[١٦] أيضاً" حافظاً للتواريخ المقدمة والمتأخرة، وخبير بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم ... وعارفاً بالرجال وأنسابهم لاسيما الصحابة ". ولكن علم التاريخ جذبه أكثر مما جذبه علم الحديث، وهذا ما أشار إليه بنفسه فقال" أما بعد فإني لم أزل محباً لمطالعة كتب التاريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للإطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها" [١٧].

٥- وفاته:

توفي ابن الأثير في الخامس والعشرين من شعبان سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٤ م) وقد بلغ الخامسة والسبعين من عمره[١٨]، في حين يذكر أبو شامة[١٩] أنه توفي في شعبان سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٥ م) .

٦- مؤلفاته:

ترك ابن الأثير للمكتبة الإسلامية أربع مصنفات في علم الحديث، والأنساب، والتاريخ هي:

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب.

٣- الكامل في التاريخ.

٤- التاريخ الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية.

٧- شيوخه:

١- أحمد بن عثمان:

أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي بن مهدي الزرزاري، كان إماماً عالماً ورعاً زاهداً، سلك في خشانة الدين مسلك التابعين، وكان على غاية ما يكون عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سمع عليه الحديث بالموصل وأربل وغيرها، توفي سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م)[٢٠]، أخذ ابن الأثير عن الزرزاري كتاب تفسير القرآن المجيد لأبي إسحاق الثعلبي[٢١].

٢- مكارم بن أحمد:

أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب الموصلي، القلانسي البقال، من أهل الموصل، أخذ ابن الأثير عنه كتابي مسند المعافي بن عمران[٢٢]، وكتاب طبقات محدثي الموصل لأبي زكريا الأزدي، توفي سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م).

٣- المنصور بن أبي الحسن:

أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي الطبري، ولد في مدينة آمل بطبرستان سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)، ونشأ بمرو، كان رجلاً صالحاً سمع الكثير وعمر، وقد ورد أربل وسمع عليه الكثير، ثم نزل في الموصل حيث درس على يده ابن الأثير كتاب مسند أبي يعلى الموصلي، وتوفي سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)[٢٣].

٤- مكي بن ريان:

أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة النحوي المقرئ بالموصل، كان عارفاً بالنحو واللغة والقراءات، ولم يكن في زمانه مثله، ضريراً، عالماً في الفقه والحساب وغير ذلك، من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع، توفي سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) بالموصل[٢٤]، أخذ عنه ابن الأثير كتاب الموطأ لمالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى[٢٥].

٥- يعيش بن صدقة:

أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي، كان من أئمة علماء الشافعية وممن يقتدى به في الزهد والورع وحسن الطريقة[٢٦]، ذكره ابن الأثير[٢٧] في حوادث سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) وهي سنة وفاة هذا الشيخ قائلاً عنه "وفيها توفي شيخنا أبو القاسم يعيش بن صدقة علي الفراتي الضرير الفقيه الشافعي، كان إماماً في الفقه مدرساً صالحاً كثير الصلاح، سمعت عليه الكثير، لم أرى مثله. . .".

٦- أحمد بن عبد الرحمن:

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان بمكة، ذكره ابن الأثير في حوادث سنة (٥٨٥هـ/١١٨٨م)

وهي سنة وفاته فقال "... كان رحمه عالماً متبحراً في علوم كثيرة، خلاف فقه مذهبه الأصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك. وختم أعماله بالزهد ولبس الخشن... وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً"[٢٨].

٧- عبد المنعم بن أبي عبد الوهاب:

أبو الفرج عبد المنعم بن أبي عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن كليب الحراني الملقب بشمس الدين الحراني الأصل البغدادي المولد والدار[٢٩]. وقد ورد ذكره ابن الأثير في سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) وهي سنة وفاة هذا الشيخ بالقول " توفي شيخنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران، وكان عالي الإسناد في الحديث، وكان ثقة صحيح السماع"[٣٠].

٨- محمد بن هبة الله:

أبو الغنائم محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد[٣١]. وكانت وفاته سنة (٦٢٨هـ/١٢٢٩م) وصفه ابن الأثير[٣٢] بقوله "وفيها توفي القاضي أبي الغنائم بن العديم الحلبي الشيخ الصالح، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضية والعالمين ... فإنه من جملة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه".

٨- تلاميذه:

١- محمد بن سعيد:

هو محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج، أبو عبد الله بن أبي محمد بن الدبيثي، ولد بواسط في قرية من قراها يقال لها دوبيثا، وإليها ينسب، درس الفقه والعربية بواسط، ورحل إلى بغداد وسمع بها ورحل إلى الحجاز وأربل ثم الموصل[٣٣]، ألّف كتاباً في تاريخ واسط، ويبدو أن ابن الدبيثي قد التقى بابن الأثير عند زيارته أربل، ثم الموصل سنة (٦١١هـ/١٢١٤م)، وكانت وفاته سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)[٣٤].

٢- شرف الدين ابن المستوفي الأربلي:

أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك، صاحب الكتاب المشهور(تاريخ أربل)، ولد بقلعة أربل في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، كان عارفاً بالحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به وعلوم أخرى[٣٥]، توفي سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)[٣٦].

٣- أحمد بن أبي عبد الله:

أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المعروف بابن الرومية أو العشاب ولد سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، كان فقيهاً ظاهرياً متعصباً لابن حزم الأندلسي وعنه إنتشرت تصانيفه إذ كان قد عني بها كثيراً، كان كثير الرحلة في طلب العلم حيث رحل إلى المغرب، مصر، مكة، بغداد، تكريت ثم الموصل التي زارها سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) وسمع بها من ابن الأثير، توفي ابن الرومية سنة (٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م)[٣٧].

٤- أحمد بن يوسف:

أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسين المراكشي، عالم فاضل فقيه كامل عارف بالنحو والتفسير، سمع الحديث اليسير وقرأ النحو على والده يوسف. صنف للقرآن تفسيرين مولاً ومختصراً، وقد روى عن ابن الأثير، ولم يعرف تاريخ وفاته[٣٨].

٥- كمال الدين بن العديم:

أبو القاسم عمر ابن أحمد بن هبة الله من بني أبي جرداة العقيلي، ولد سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) بمدينة حلب، من أسرة واسعة الثراء كانت مشهورة بالفقه والعلم والقضاء والزهد والأدب والشعر[٣٩]، توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)[٤٠].

٦- أحمد بن محمد:

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، ولد بأربل سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) وتلقى علومه الأولى فيها، ترك أربل وهو في سن الثامنة عشرة من عمره حيث توجه إلى الموصل وتفقه على يد كمال الدين بن يونس بن منعة، ثم ذهب إلى حلب ودرس على القاضي بهاء الدين بن شداد وابن الأثير[٤١]، ترك عدة مؤلفات من أشهرها كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) توفي سنة (٦٨١هـ/١٢٨١م)[٤٢].

موارد الكتاب:

١- الموارد الشفوية:

يتبين من خلال دراسة الباهر أن ابن الأثير قد ابتعد عن الإسناد من خلال إعتماده على منهج الكتابة المرسلة نظراً لاستقرار الأسانيد من قبله، وإن إبتعاده عن الإسناد لايعني بالضرورة إعتماده على الروايات جزافاً أو كيفما اتفق، وإنما وضع

لنفسه برنامجاً محدداً أو خطة عمل سار عليها في كتابه، فضلاً عن ذلك فإن المرحلة التي عاصرها ابن الأثير قد عكست عزوف المؤرخين منذ مدة ليست بالقصيرة عن سلسلة الإسناد، فالمنهج التاريخي وصل إلى حالة من الاستقرار والثبات، فضلاً عن أن منهج الإسناد يؤدي إلى الإطالة إذ أن كثيراً ما تتضخم المصادر بتكرار المادة الواقعة في حالة تطبيق سلسلة الإسناد ويؤدي إلى تجزئة الحدث، وتكرار في سرد الرواية الواحدة بسلاسل مختلفة وهذا يرهق القارئ.

ومع ذلك نلاحظ أن ابن الأثير قد إعتمد بشكل كبير على الروايات الشفوية في تصنيف كتاب الباهر، ولكن من دون أن يسوق سلاسل الإسناد أمام كل رواية من رواياته، ومن دون أن يصرح بأسماء رواته، عدا ذكره أن أكثر مادته مأخوذة عن والده[٤٣]، وهذا ما قاله في مقدمة كتابه "... ونقلت أكثره عن والدي رحمه الله تعالى، فإنه كان راوية حسناتهم، وعين الخبر بحركاتهم وسكناتهم، وقد فاتني كثير مما سمعته منه، لأنني جمعت هذا القدر من حفظي بعد وفاته، ولم أثبته بقلمي في حياته ..."[٤٤]، وأيضاً إعتماده على أخاه مجد الدين فقال في خبر ذكر شيء من سيرة نور الدين" وكان ـ قدّس الله روحه. كثير الإحسان إلى رعيته والرفق بهم والقرب منهم، سريع الانفعال للخير. حكى لي أخي مجد الدين رحمه الله تعالى ـ وكان على غاية الخبر به. قال: ما قلت له في شيء قط من عدل بذل مال أو غير ذلك من الصلاح فقال لا. وحكى لي أيضاً عنه قال: كنت معه في بعض أسفاره، وكان له سردار بالموصل يكون معه مفاتيح داره، فبلغه أن ولد السردار قد سرق من داره شيئاً، فأرسل إليّ ليلاً يأمرني أن أكتب كتاباً إلى الموصل بقطع يده، فأعدت الجواب: إنني ما أكتب هذا الكتاب الليلة، وإذا اجتمعت به غداً أعرفه ما عندي في هذا، فأعاد مرة ثانية وثالثة وأنا أمتنع من ذلك، فاستدعاني، فحضرت عنده فقال لي: لم لا تكتب الكتاب فقلت له: دعاني معكم أنني لا أكتب إلا ما تجيزه الشريعة، فقال لي: هذا سارق توجب الشريعة المطهرة قطع يده . فقلت له: لا قطع عليه، لأنه من غير حرز لأن المفاتيح بيده، فعفا عنه"[٤٥].

الرواية لها مدلول مهم وهي أن ابن الأثير يستسقي رواياته الشفوية من مصادر عايشت الحدث وعلى اتصال بأسرة زنكي وهم أباه، وأخاه وكاتب نورالدين[٤٦].

كما أن ابن الأثير إستخدم مصطلحات أهل الحديث في سرد رواياته (بلغني، حدثني، سمعت، قالوا، قال ...) لكن من دون ذكر أسم راوي الخبر[٤٧].

٢- الموارد التحريرية:

لقد إعتمد ابن الأثير في تصنيف كتابه الباهر على عدد من المؤلفات، فنلاحظ أنه يصرح أحياناً بأسم المؤلف والكتاب كقوله"... ومن عجائب الاتفاق، ما حكاه كمال الدين بن العديم في كتاب أخبار حلب أن ..."[٤٨]؛"... ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق قال ..."[٤٩]. وأحياناً أخرى يذكر أسم المؤلف فقط كقوله "قال العماد محمد بن حامد الكاتب – وقد ذكر نور الدين بعض مصنفاته..."[٥٠]؛ "... بلغني أن الحافظ أبا القاسم ابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه..."[٥١]؛ "... قال العماد محمد بن حامد الكاتب. وقد ذكر نور الدين في بعض مصنفاته*" [٥٢]؛ أو يبتعد عن ذكر أسم المؤلف والكتاب كقوله"... لم يرو في كُتب الأولين أن أحد..."[٥٣]؛ "وحكي لي والدي ... ثم إني رأيت ماحكاه بعد ذلك مذكوراً في كتب التواريخ..."[٥٤]؛ " قد طلعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء..."[٥٥]؛ " قال صاحب التاريخ..."[٥٦]؛ "... ما هو مشهور مدون في الكتب..."[٥٧]؛ " قد ذكر أصحاب التواريخ والمعارف أن..."[٥٨].

٣- الوثائق:

إعتمد ابن الأثير في كتابه (الباهر) وبشكل ملحوظ على الوثائق والرسائل ونصوص العهود والمواثق والخطب والتقارير الرسمية وغيرها، فقد ذكر رسالة سيف الدين زنكي إلى معين الدين المتحكم بدمشق الذي استنجدا به عندما حاصرا الفرنج دمشق "قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي، فأن أنا جئت إليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابي وأصحابي وكانت الهزيمة علينا، لا يسلم منا أحد لبعد بلادنا عنا، وحينئذٍ يملك الفرنج دمشق وغيرها، فإن أردت أن ألقاهم وأقاتلهم، فتسلم البلد إلى من أثق إليه، وأنا أحلف لك، إن كانت النصرة لنا على الفرنج أنني لا آخذ دمشق، ولا أقيم بها إلا مقدار ما يرحل العدو عنها وأعود إلى بلادي . فماطله معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج"[٥٩].

رسالة نور الدين زنكي إلى عز الدين قلج أرسلان "... وكان في جملة رسالة نور الدين إليه: إنني أريد منك أموراً وقواعد، ومهما تركت منها فلا أترك ثلاثة أشياء: أحدهما أنك تجدد إسلامك على يد رسولي حتى يحل لي إقرارك على بلاد الإسلام، فإنني لا أعتقدك مؤمناً. وكان قلج أرسلان يتهم باعتقاد مذهب الفلاسفة. والثاني، إذا طلبت عسكرك إلى الغزاة تسيره، فإنك قد ملكت طرفاً كبيراً

من بلاد الإسلام وتركت الروم وجهادهم وهادنتهم، فأما أن تنجدني بعسكرك لأقاتل بهم الإفرنج وأما أن تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع في جهادهم . والثالث أن تزوج أبنتك بسيف الدين غازي ولد أخي، وذكر أموراً غيرها . . . " [٦٠].

" بعزمك أيها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقيم
ألم تر أن كلب الروم لما تبين أنه الملك الرحيـــــــم
فجاء يطبق الفلوات خيلا كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه ودان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك في خميس تيقن أن ذلك لا يدوم
وأبصر في المفاضة منك جيشاً فأحرن لا يسير ولا يقيم
كأنك في العجاج شهاب نور توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى وليس سوى الحمام له حميم

وهي طويلة . . . " [٦١].

ومن الملاحظ أن عدداً من هذه الوثائق التي إعتمدها ابن الأثير قد اطّلع عليها بنفسه، كقوله " . . . ورأيت منشوره بذلك"[٦٢]، وهو المنشور الذي أقطعه فيه السلطان سنجر ابن أخاه السلطان محمود، همذان، وأصفهان. . . وبلاد كرمان، وفارس . . . والعراق، والموصل وغيرها .

٤- ابن الأثير (شاهد عيان):

فضلاً على عدد كبير من القصائد وأبيات الشعر ذات العلاقة بالأحداث العامة مثلاً مدح الشاعر مسلم بن الخضر ابن قسيم الحموي عماد الدين زنكي بعد هزيمته للإفرنج في بلاد الشام:

وفضلاً عن جميع هذه المصادر التي رجع إليها ابن الأثير خلال تأليفه لكتابه (الباهر) فإنه كان شاهد عيان لعدد من المواقع العمرانية داخل مدينة الموصل وخارجها، وغير ذلك من المواقع والأحداث . ولهذه المعلومات أهمية خاصة كونه قد شاهدها وعاينها بنفسه، فذكر " . . . ومن أعجب ما رأيت تلك السنة (٥٧٤هـ)، أنني كنت بالجزيرة، وقد قصدت مدرسة بها أسمع على مدرسها شيئاً من حديث النبي . . . "[٦٣]؛ " . . . نبتدئ بذكر

حصن شيزر. . . فنقول هذا الحصن قريب من حماة، بينهما نصف نهار، وهو من أمنع القلاع وأحصنها، على حجر عال له طريق منقور في طرف الجبل. . ."[٦٤]؛ ". . . ثم أمر بالزيادة في علو سور الموصل فزيد فيه ما يقارب مثله، وأثره ظاهر إلى يومنا هذا في السور . وأمر بتعميق خندقها، فعمل على ما هو عليه اليوم. . ."[٦٥]؛ ". . . ومن أعجب ما رأيت تلك السنة، أنني كنت في الجزيرة، وقد قصدت مدرسة بها أسمع على مدرسها شيئاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فينما أنا جالس عند فقيه في بيته أنتظر مدرسها . . ."[٦٦]؛ ". . . وكان من جملة الواصلين معه، أخي مجد الدين رحمهما الله تعالى، وكان ينزل بالقرب منه، فنصبت خيمة أخي بزاوية الميدان من داخله ولم يدخل الموصل، فخرجت أنا إليه أبصره، فركب المرحوم عز الدين رضي الله عنه فرأى الخيمة . . ."[٦٧].

قال ابن الأثير في خبر عنوانه . وأما حسن عهده ومراعاته لحقوق خدمه ومماليكه في حياته. "فأنا أذكر ما رأيته منه. فمن ذلك أن أخي مجد الدين. رحمة الله عليه. توفي في سلخ ذي الحجة من سنة ست وستمائة، فأرسل المولى المرحوم نورالدين . رضي الله عنه. إلي ذلك اليوم عدة مرار يقول: لا تخرجه إلى الجامع للصلاة عليه حتى أقول لك، فأنني أريد أن أصلي عليه. . . ولما قصدنا خدمته بعد ذلك أظهر لنا من الهم بسببه شيئاً كثيراً . . ."[٦٨].

هذا النص يبين أن ابن الأثير كان شاهد عيان لوفاة أخاه وللجامع الذي تم الصلاة فيه؛ ويوضح مكانة أخاه لدى نور الدين زنكي حيث صلى عليه؛ والنص أيضاً يسجل التحاق ابن الأثير بخدمة نورالدين قبل وفاته.

منهجه في تاريخه:

لقد كان لثقافة ابن الأثير الدينية أثرها على أسلوبه في الكتابة ويتجلى ذلك من خلال توظيف، الكثير من المفردات القرآنية في التعبير عن أفكاره وتصوراته ومما يعزز هذه التصورات مقدمة مؤلفه التي استهلها بالقول "الحمد لله ذي النعم الباهرة، والآلاء الظاهرة، والمنن الزاهرة، الذي إمتن على عباده الضعفاء. . . نحمده على ما أنعم فأجزل، وأحسن فأفضل، ونصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. . ."[٦٩].

وكذلك الدعاء للدولة الأتابكية والأمراء الزنكيين بقوله ". . . والذي غمرنا من أنعام هذه الدولة العزيزة القاهرة، والأيام الأتابكية الزاهرة، وشملنا من إحسانها، وأنالتنا من عزّ سلطانها، فقد إشتهر خبره، وطاب مخبره، وطار ذكره في الآفاق. . ."[٧٠]، وقال أيضاً "كان المولى السعيد نورالدين– قدّس الله روحه كما نوّر ضريحه–

قد عهد إلى والده المولى الملك القاهر العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المرابط عن الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، ناصر أمير المؤمنين، أبي المظفر مسعود أعز الله سلطانه، وأعلى شأنه، ونصر جنده وأعوانه، وخذل عدو دولته وأهانه "[٧١]، والذي يوضح بشكل جلي موقفه السياسي المتفق مع منهج الدولة الأتابكية وأنه كان راضياً تماماً على الحكم السياسي، كيف لا وهو الذي ألف مصنفه (الباهر) تمجيداً لهذه الدولة التي كان هو وعائلته من المقربين من أمرائها وهذا واضح من مقدمة كتابه " . . . وكان أكثر الموالي السعداء. قدّس الله أرواحهم. أنعاماً علينا، وإحساناً إلينا، المولى السعيد الملك العادل نورالدين أرسلان شاه رضي الله عنه وأرضاه، وأكرم في الآخرة نزله ومثواه . . . فأنه طال ما أنعم علينا وأعطانا، ووصلنا وحبانا، وقربنا واصطفانا، وإلى أعلى مراتب الكرامة أعلانا، مازال يوالينا الجميل، ويوليناالجليل، ويقربنا إلى حضرته العلية، ويدنينا سدته السنية وبأسراره يخصنا ولمشورته يستخلصنا . . . وكان ما يمدنا به من طوله بحراً يقذف بالغنى، ويجود بما لايبلغه المنى . فلهذا كانت حياتنا من سيب أنعمه غدق الحياض، مونقة الرياض، ولم نزل نقابل قديم إنعامهم وحديثه بإخلاص الدعاء، وصدق العبودية والولاء، وإظهار الشكر والغناء . . . وكنت عازماً على أن أدوّن أخبارهم، وأجمع آثارهم، وذكر ما من الله سبحانه على الإسلام والمسلمين وما حفظ من ثغورهم بجلادهم، وما صب على الفرنج من العذاب بأيديهم وإستنقذه من ممالكهم بجهادهم، وأخلد محاسن أعمالهم على ممر الدهور، وتعاقب السنين والشهور، جزاء لإحسانهم المستمر، وطولهم الثبات المستقر، وكانت الأعذار تحول بيني وبين ما أؤمله من هذا الغرض، والعوائق تحيل جواهر إمكاني إلى الغرض. ولما ستأثر الله تعالى بالمولى السيد نورالدين . . . وحيث كانت الحال هذه، تجدد ذلك العزم، وأحببت أن، أجلو مناقب الموالي الملوك السعداء من آبائه عليه، وأزف عقلية محاسنهم إليه، وأذكر من مشاهدهم في نصرة الدين وذبهم عن حوزة المسلمين، وما انتهى إليه علمي، وأثبته قلمي. . . ليعلم قدر الله نعمة الله تعالى عنده أولاً وآخراً، ويقتدى بأفعالهم وارداً وصادراً، وليتيقن أنه لم يكن لأحد من الملوك المتقدمين والخلفاء الراشدين، منقبة دينية ودنيوية وتجربة في حفظ الممالك والرعايا شرعية وسياسية، إلا في بيته الشريف. ثبت الله تعالى قواعده، وشد من عزه معاقده. مايضاهيها، ويظهر عنهم ما يماثلها ويناويها . . ."[٧٢].

يوضح هذا الجزء من مقدمة ابن الأثير مدى رعاية وإهتمام الزنكيين بابن الأثير وأسرته وإغداق الأموال عليهم، وهدفه من تأليف الكتاب هو تخليد ذكر هذه الأسرة وانجازاتها في صد خطر

الفرنج، وأعمالهم وأفعالهم (الدينية والدنيوية) التي لا يضاهيها أعمال الملوك والخلفاء الراشدين حسب مايصرح به ابن الأثير المتحيز لهذه الأسرة. وهو يوضح أسلوبه ومنهجه في عرض المادة وهي تخليد محاسن أعمال الزنكيين على مر الدهور، وتعاقب الشهور والسنين؛ وأيضاً يحدد فترة تدوين مؤلفه وهو بعد وفاة نور الدين زنكي سنة (٦٠٧ هـ).

كما أنه يذكر وبشكل مختصر جداً الحرب التي وقعت بين السلطان محمود وعمه السلطان سنجر حرب وانتهت بإنتصار السلطان سنجر وعودة السلطان محمود إلى عمه وما أقطعه إياه من ديار، فنلاحظ أن ابن الأثير يستدرك ذلك بقوله " ولم يكن لعماد الدين في هذه الحرب أثر، ولا شهدها ليستقصى ذكرها فلهذا أعرضنا عن شرحها وأشرنا إليها لتعرف"[٧٣]، فالكتاب مصنف خصيصاً لأسرة زنكي فقط وما يتعلق بها.

يلاحظ في جميع فقرات كتاب (الباهر) التعصب والتحيز للزنكيين وملوكهم ومثال على ذلك في خبر ولاية عماد الدين زنكي الموصل، فهو يعطي مقدمة للخبر عن مدى الحال الذي وصل إليه المسلمون من الوهن والضعف، والمشركون (الفرنج) من القوة لكي يسلط الضوء على عماد الدين ويستطرد في ذلك فيقول "فلما نظر الله إلى ملوك البلاد الإسلامية وأمراء الملة الحنفية، وما هم فيه من العجز عن نصرة الدين، والوهن في حماية الموحدين، ورأى قصر عدوهم لهم وشدة صوله، وما نصب عليهم من ظل نكاله وويله . . . فحينئذٍ أراد أن يسلط على الفرنج من بسوء أفعالها يجازيها، ويرسل على شياطين الصلبان رجوماً منه تهلكها وتفنيها، فنظر في جريدة شجعان أوليائه، وذوي الرأي والنجدة والشهامة من أصغيائه، فلم ير فيها أقوى على هذا الأمر من المولى الشهيد عماد الدين زنكي ولا أثبت جناناً ولا أمضى عزماً، ولا أنفذ سناناً، فولاه الثغور، ورعاية الجمهور. . ."[٧٤]؛ وقوله "ولما توفى السلطان محمود، طلب السلطان مسعود بن محمد السلطنة، وطلبها أيضاً أخوه سلجوق شاه بن محمد، والملك داود بن السلطان محمود، وكان بينهم حروب كثيرة، نذكر منها ما كان للشهيد عماد الدين. قدّس الله روحه. فيها أثر وفعل، ونترك الباقي إذ هو خارج عن عرضنا"[٧٥].

ثم يعود إلى توضيح مادة كتابه بقوله " وابتدأت بذكر المولى الشهيد الكبير قسيم الدولة آقسنقر رضي الله عنه، لأنه أول من ملك منهم فيما علمناه، وذكرت ما حضره من الحروب قبل ملكه وبعده، وكذلك ولده المولى الشهيد عماد الدين زنكي قدّس الله روحه، ولم أذكر أحداً غير ملوك هذا البيت الشريف إلا وفاة خليفة واستخلاف آخر، وموت سلطان سلجقي وولاية غيره، إذا ضرورة

تدعو إليه . . ."[٧٦] . وهذا يبين أن مصنف (الباهر) يعتبر جزء من التاريخ المحلي فهو مخصص لأسرة حكمت الموصل ومنطقة بلاد الشام.

ومن جانب آخر فقد شاع في أسلوبه الكثير من التعابير البلاغية كالسجع والكناية والأساليب البيانية، وذلك لكي يتيسر له الوصف المؤثر في المناسبات الخطيرة، مثل وصفه المعارك التي دارت بين الصليبيين وبين عماد الدين ونور الدين، وغير ذلك من المناسبات، فنجد أنه افتتح كتابه بمقدمة مسجوعة، وختمه أيضاً بخاتمة مسجوعة فقال في خاتمة كتابه وهو يتحدث عن بدر الدين لؤلؤ ". . . قام في خدمة المولى الملك القاهر مقاماً يحمده عليه الداني والقاصي، والمطيع والعاصي، والبادي والحاضر، والمنجد والغاير، ولقد جاء على حين فترة من الكرام، وكثره من اللئام، فجدد من أعلام السيادة ما كان دارساً، وأضحك من ثغور المروة ما كان عابساً، واختالت الدولة من حسن تدبيره اختيال العروس، ورفلت من صائب آرائه في أحسن لبوس، وافتخر به دهره على ساير الدهور . . ."[٧٧] .

وزيادة على ذلك فإن أسلوب ابن الأثير واضح بعيد عن التكلف تشيع فيه المفردات والعبارات المتداولة عند العامة بيد أن ذلك لا يمنع من استخدامه المحسنات اللفظية البديعة لاسيما عندما يتحدث عن رجال الدولة، كقوله عند الحديث عن عدل نور الدين زنكي" . . . ومن عدله قدّس الله روحه ونوّر ضريحه من نور فسيحه . . ."[٧٨]؛ " . . . كان المولى السعيد نورالدين . . . قد عهد إلى ولده المولى الملك القاهر العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المرابط عن الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، ناصر أمير المؤمنين، ابن المظفر مسعود أعز الله سلطانه، وأعلى شأنه، ونصر جنده وأعوانه، وخذل عدو دولته وأهانه "[٧٩] .

فمقدرة ابن الأثير على صياغة الألفاظ ليست الوحيدة التي يتميز بها وإنما القدرة على تحديد أبعادا للفكرة التي يريد التعبير عنها، لذلك جاء تاريخه بكل ما فيه من حوادث وروايات قد غلب عليها طابع الانسجام والوضوح. ومما يتميز به عندما يتكلم عن حادثة معينة إنه يعطي للحادثة مغزاها ودلالاتها تمكن المطلع على كتابه من أن يتذوقها ويتعايش معها .

كذلك يستشهد ابن الأثير بالشعر في كثير من الأحداث فهو يورد قصيدة للشاعر أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن خالد القيسراني (توفي سنة ٤٤٨ هـ) في حادثة انتصار نور الدين محمود زنكي على الفرنج ببصرى :

"يا ليت إن الصد مصدود أولا فليت اليوم مردود

إلى متى يعوض عن مغرم ... في خده للدمع أخدود

وكيف لا نثني على عيشنا الـ ... ـمحمود والسلطان محمود

وصارم الإسلام لا ينثني ... ألا وشلو الكفر مقدود

مناقب لم تك موجودة ... إلا ونورالدين موجود

وكم له من وقعة يومها ... عند ملوك الشرك مشهود

والقوم إما مرهق صرعة ... أو موثق بالقيد مشدود" [٨٠]

وهو أيضاً يضرب الأمثال فيقول " وهذا موضع المثل، ذهبت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين "[٨١]؛ " . . . على نفسها تجني براقش. . . "[٨٢].

وابن الأثير مال في مصنفه (الباهر) إلى الاختصار في ذكر الأحداث والروايات فقال " وذكر لي من أحواله الحسنة أشياء لم أطول بذكرها "[٨٣]، وفي موقع آخر من الكتاب يذكر قصيدة لكنه لا يكملها لطولها فقال " . . . وهي طويلة جداً . . . "[٨٤]، وذكره أيضاً " . . . ولو رمت شرح مفردات أعماله لاطلت وأضجرت وهي ظاهرة لاتحتاج إلى بيان، فلهذا تركنا أكثرها . . . "[٨٥]، وأيضاً " . . . وجرت أمور يطول ذكرها . . . "[٨٦]، وقال " . . . ولو ذكرت ما قال العلماء فيه لكان مجلدات، ولكن الاختصار أليق بما نحن فيه والسلام "[٨٧].

وقد عمد ابن الأثير من باب الاختصار أيضاً وعدم الإطالة إلى إحالة القارئ لكتابه إلى الإلمام فقال " . . . على ما نذكره إن شاء الله تعالى . . . "[٨٨]، أو أنه يرجع القارئ للخلف فقال " وقد تقدم ذكر بعض ذلك "[٨٩]، كما عمد إلى إرجاع القارئ إلى مصنفه الكامل في التاريخ فقال " على ما ذكرناه في المستقصي في التاريخ . . . "[٩٠]؛ " . . . قد أتينا على ذكر ذلك في المستقصى في التاريخ" [٩١].

لقد صرح ابن الأثير في مقدمة كتابه أنه عمد إلى هذا الاختصار لأنه سمة عصره فقال " . . . ومع هذا فإنني تعمدت ترك الإكثار، لميل الناس في زماننا إلى الاختصار. . . "[٩٢].

ومن الملاحظ أن ابن الأثير في مصنفه (الباهر) يتطرق إلى نسب وسيرة الخلفاء وملوك وأمراء الأسرة الزنكية، وهذا ليس غريباً فهو بالإضافة إلى معرفته بعلم التاريخ والحديث نجده نساباً، ولديه

مصنف في ذلك (اللباب في تهذيب الأنساب)، فقد خصصه فقرات متعددة في ذلك كقوله. ذكر نسب المستظهر بالله. "هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبدالله بن الأمير الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم أبي إسحاق بن محمد الرشيد أبي جعفر هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله أبي العباس بن عبد المطلب . . ."[٩٣]؛ في فقرة أخرى . فصل في ذكر بعض سيرة أتابك قطب الدين رضي الله عنه "كان رحمه الله ورضي عنه من أحسن الملوك سيرة، وأعفهم عن أموال رعيته، محسناً إليهم كثير الإنعام عليهم، محبوباً إلى صغيرهم وكبيرهم، عطوفاً على مأمورهم وأميرهم، حليماً عن المذنبين منهم، قليل المؤاخذة لهم على زللهم، كريم الأخلاق حسن الصحبة لهم. . . وكان رضي الله عنه سريع الإنفعال للخير، بطيئاً عن الشر. . ."[٩٤].

ومن منهجه في (الباهر) أنه يدون أغلب الأحداث باليوم والشهر والسنة، فهو يحدد يوم وفاة أسد الدين شيركوه "توفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة، فكانت ولاية شهرين وخمسة أيام"[٩٥]؛ وقوله "توفى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر بدمشق، يوم الأربعاء حادي عشر شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة "[٩٦].

يخصص ابن الأثير في مواقع من كتابه (الباهر) لأخبار يعتقد هو بأنها ضرورية للمطلع على مصنفه أو أخبار نادرة الحصول، وهو لايخرج فيها عن سياق كتابه الذي ألّفه تكريماً لأسرة زنكي وتمجيداً وتخليداً لأعمالها، فخصص فقرة بعنوان ـ معرفة حسنة ـ قال فيها "يذكر أهل التواريخ أنه ليس من مشهوري العرب من قتل هو وأبوه وجده وجد أبيه، غير عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد . فأن عبد الله قتله الحجاج، والزبير رضي الله عنه قتل يوم الجمل، وقتل العوام وخويلد في الجاهلية. وليس من مشهوري الترك من هو هكذا، غير قليج أرسلان. . ."[٩٧]؛ وهو يجعل عنواناً تحت مسمى أخبار (نادرة عجيبة) يضمنها أخبار يعتقد أنها نادرة الحصول تخص الأسرة الزنكية[٩٨]؛ خبر آخر تحت عنوان (في ذكر فاطمة إبنة عبد الملك. معرفة حسنة تذكر) تتعلق بأخبار الأسرة الزنكية[٩٩]؛ (حادثة تحث على العدل)[١٠٠].

وهو أيضاً ذكر خبر تحت عنوان (نادرة غريبة في زماننا هذا) لكن لا تتعلق بالكتاب بل بتجارة والده[١٠١]؛ كما أنه خرج عن سياق كتابه في خبر أعمال نور الدين زنكي[١٠٢].

بالرغم من كون (الباهر) ألّفه على أساس المواضيع لا على أساس السنين (كما فعل في الكامل)، إلا أننا نلاحظ إهتمام كبير من ابن الأثير على تسجيل تاريخ كل الأحداث في اليوم والشهر والسنة، وهو في بعض الأحيان يروي أخبار الكوارث نهاية العام (كما في الكامل)، فذكر في سنة ٥١١ هـ غرق مدينة سنجار من الأمطار؛ زلزلت إربل وغير من البلاد المجاورة[١٠٣]؛ وإشارة إلى أحداث سنة ٥٤٨ هـ[١٠٤].

دوافع تأليف للكتاب:

إن الدافع لتأليف الكتاب، هو وفاة أمير الموصل نورالدين أرسلان شاه سنة ٦٠٧ هـ، الذي كان أكثر أمراء الموصل براً بابن الأثير وأسرته وعطفاً عليهم، وولاية أبنه الشاب القاهر مسعود برعاية بدر الدين لؤلؤ، ويبدو أن علاقة ابن الأثير بالأمير الشاب وبراعيه لم تكن وثيقة الأمر الذي يهدد مكانته بالبلاط الموصلي، فرأى أن خير وسيلة لذلك، هو أن يؤلف كتاباً عن أسرة الأمير القاهر ويقدمه له، فألّف الكتاب سنة ٦٠٨ هـ، أي بعد إعتلاء الأمير القاهر أمير الموصل بسنة واحدة، وإقتصر فيه على تسجيل محاسن أسلافه والأخبار الطيبة عنهم، متجنباً التوسع في أخبار الصراع بين الزنكيين (خلفاء نورالدين) وبين صلاح الدين وخلفائه، التي تظهر ضعف الزنكيين أمام صلاح الدين وخلفائه، وهزائمهم في حروبهم معهم، وخضوعهم خضوعاً تاماً له، فتجنب ابن الأثير إثبات هذه الأخبار التي تجرح أصحابها، لئلا يخدش كبرياء الأمير القاهر الذي ألّف له الكتاب، ولكنه في الوقت نفسه أحال القارئ أكثر من مرة إلى كتابه الآخر (الكامل) للاستزادة من الأخبار والتفاصيل، حيث دوّنها بحرية تامة.

وقد نجح ابن الأثير في إستمرار علاقته بالبلاط وتوثيقها، فقربه بدرالدين لؤلؤ إليه. والدافع الآخر هو كما ذكرت سابقاً إظهار الدور العظيم الذي أداه الزنكيون في مجال الحروب الصليبية وفي السياسة الداخلية، وذلك وفاء منه لهم، ولكي تكون سيرتهم مثال يهتدى به الأمير القاهر وباقي الأمراء والملوك[١٠٥]، لذلك قيمة كتاب (الباهر) لاترقى إلى قيمة كتابه (الكامل).

محتوى الكتاب:

يغطي (الباهر) فترة ستة وثمانين سنة تمتد بين سنتي٥٢١ هـ قيام الحكم الزنكي على يد عماد الدين، وينتهي سنة ٦٠٧ هـ تولي

القاهر مسعود بن الملك نور الدين أرسلان شاه حكم الموصل برعاية بدرالدين لؤلؤ. وهذا ما أشار إليه ابن الأثير في مقدمة كتابه[١٠٦]، فالكتاب مخصص لتخليد ذكر الأسرة الزنكية في مجال الحروب العسكرية ضد الفرنج (الصليبيين)، وسياسة داخلية في مجال تثبيت أركان الأسرة، وذكر وفاة خليفة وإستخلاف آخر وشيء مختصر عن نسبهم، وموت سلطان سلجوقي وولاية غيره.

فالكتاب لايعني بالأمور الإجتماعية والإقتصادية والخطط إلا ما ندر وبشكل غير مباشر، ولكنه يشير إلى الكوارث كحدوث الزلازل[١٠٧]، والسيول[١٠٨]، والغلا، والوباء[١٠٩]، ويفرد بعض الفقرات بذكر أفعال بعض الأمراء الزنكيين[١١٠]، والسلاطين الأتراك[١١١]، والخلفاء العباسيين[١١٢]. كقيام المملوك مجاهد الدين يرنقش بناء مدرسة للحنفية في سنجار[١١٣]، وإعمار عماد الدين زنكي سور مدينة الموصل وزادة في إرتفاعه، وتعميق الخندق المحيط بالمدينة، وزادة البناء في عهده، وفتح في السور باب سمي بالباب العمادي[١١٤]. وبناء سيف الدين غازي بن عماد الدين المدرسة الأتابكية في الموصل وجعلها وقفاً على فقهاء الحنفية والشافعية، وبنى رباطاً للصوفية بالموصل وهو الربط المجاور لباب المشرعة[١١٥]. وقيام نورالدين زنكي ببناء الجامع النوري سنة ٥٦٨ هـ[١١٦]، وبنائه دار العدل لكشف المظالم[١١٧]، وإنشاء مدرسة مقابل دار المملكة[١١٨]، وجعلها وقفاً على ستين فقيهاً من الشافعية، وبناءه البيمارستانات أعظمها بدمشق، والخانات في الطرق، وبنى الأبراج لمراقبة الافرنج، وبنى الربط والخانقاهات للصوفية في جميع البلاد، وبنى دار الحديث بدمشق، ومكاتب للأيتام، وقرب رجال الدين والعلم لمجالسه[١١٩].

وبنى عزالدين مسعود المدرسة الغربية بباب دار المملكة وجعلها وقفاً للحنفية والشافعية[١٢٠]. وقيام السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ببناء صهاريج الماء بطريق مكة، وحفر الأنهار، وبنى مدرسة عند قبر الإمام أبي حنيفة، وبنى جامع في بغداد، وبنى منارة القرون في الكوفة وبسمرقند[١٢١]. ونشأ الخليفة المقتدر بأمر الله محال عديدة في بغداد منها المقتدرية، الخاتونية، ودرب القيار، البصلية وغيرها[١٢٢].

الخاتمة

نستنتج مما تقدم :

١- إن نشأة ابن الأثير في عائلة ثرية وعلى جانب من الثقافة، وأيضاً نضوجه في مدينة الموصل وفي عهد الدولة الاتابكية التي رعت العلم والعلماء في هذه المدينة، كان لها دور كبير في بروزه في مجال الحديث والتاريخ وغيرها من المعارف الأخرى.

٢- أهمية مصنف الباهر في تسليط الضوء على الأسرة الاتابكية ودورها في مقاومة الغزو الصليبي.

٣- منهج ابن الأثير في مصنفه الباهر الذي تميزه بالاختصار واستخدام المحسنات اللفظية كالسجع والكناية والأساليب البيانية، ومع ذلك بقى ابن الأثير يتمتع بعدم التكليف والبساطة في التعبير.

٤- إستخدام الشعر والأمثال والوثائق والمشاهدات لتدعيم رواياته في مصنفه.

٥- ابتعاد ابن الأثير عن منهج أهل الحديث في رواية رواياته من خلال عدم استخدام سلاسل الإسناد، وعدم تكرار ذكر الروايات.

٦- إعتماد ابن الأثير على الروايات الشفوية والتحريرية في تدعيم صحة رواياته التاريخية.

٧_ تتلمذ على يد عدد كبير من ابرز الشيوخ الذين كان لهم الاثر الكبير في اعداده .

٨_ تخرج عدد كبير من التلاميذ على يد ابن الاثير .

الهوامش

(١) ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، د.ت)، جـ٥، ص١٣٧.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية (بيروت: دار ابن الأثير، ١٩٦٧)، جـ١٣، ص١٣٩.

(٣) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٧٧)، جـ٣، ص٣٤٩.

(٤) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، التاريخ الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليعات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ب.ت)، ص١٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٤ – ٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧، ٧٨، ١١٥، ١١٨.

(٧) المصدر نفسه، ص١٤٨، ١٤٩.

(٨) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم الأدباء (بيروت: دار المستشرق، ب.ت)، جـ١٧، ص٧٢.

(٩) المصدر نفسه، جـ١٧، ص٧٢.

(١٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص٣٩٠–٣٩٨.

(١١) شذرات، جـ٥، ص١٣٧.

(١٢) وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٤٨.

(١٣) أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت)، جـ٣، ص٢٠٧.

(١٤) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٣٩.

(١٥) وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٤٨.

(١٦) المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٤٨.

(١٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥)، جـ١، ص٢.

(١٨) الحنبلي: شذرات، جـ٥، ص١٣٧؛ الذهبي: العبر، جـ٣، ص٢٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٣٩؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: مطابع كوستاسوماس وشركاه، ب.ت)، جـ٦، ص٢٨١-٢٨٢؛ ابن خالكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٤٩.

(١٩) شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن، الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤)، ص١٦٢.

(٢٠) ابن المستوفي، شرف الدين أبي البركات المبارك ابن أحمد، تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن السيد خماس الصقار (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠)، ق١، ص٣٨.

(٢١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٣)، جـ١، ص١٤.

(٢٢) المصدر نفسه، جـ١، ص١٨.

(٢٣) ابن المستوفي: تاريخ أربل، ق١، ص١٩١.

(٢٤) ابن الأثير: الكامل، جـ١٢، ص٢٥٨.

(٢٥) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ١، ص١٥.

(٢٦) السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٠)، جـ٧، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٢٧) الكامل، جـ١٢، ص١٣١.

(٢٨) ابن الأثير: الكامل، جـ١٢، ص٤٢.

(٢٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣٠) ابن الأثير: الكامل، جـ١٢، ص١٥٩.

(٣١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦)، جـ٢، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣٢) الكامل، جـ١٢، ص٥٠٥.

(٣٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر (بيروت: دارصادر، ١٩٦١)، جـ٣، ص١٠٣.

(٣٤) ابن المستوفي: تاريخ أربل، ق١، ص١٩٤.

(٣٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص١٥١.

(٣٦) المصدر نفسه، جـ٤، ص١٥٠-١٥١.

(٣٧) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة (بيروت: دار الثقافة، ب.ت)، ق٢، ص٥١٣.

(٣٨) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل

زكار (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، جـ٣، ص١٢٦١.

(٣٩) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (بيروت: مطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٨)، جـ١، ص١٩.

(٤٠) الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والدليل عليها، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣)، جـ٣، ص١٢٦.

(٤١) الكتبي، فوات الوفيات، جـ١، ص١١٠.

(٤٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٧، ص٥٣.

(٤٣) ابن الأثير: الباهر، ص١٠، ١٧، ١٩، ٢٧، ٣١، ٣٩، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٦٢، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٩٣، ١١٥، ١١٨، ١٢٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٨٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ص٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(٤٦) المصدر نفسه، ص٤٦، ١٨٥، ١٨٧.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٧، ٦٥، ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٨١، ٨٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ١١٢، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٥١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ٦٧ .

(٤٨) المصدر نفسه، ص١٢٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ص١٧٤.

(٥١) المصدر نفسه، ص١٧٣.

* الروضتين، جـ١، ص١٠.

(٥٢) المصدر نفسه، ص١٧٤.

(٥٣) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٥٤) المصدر نفسه، ص١٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٦٣.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٤، ٩، ٧٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٣، ١٦٧، ١٢٥.

(٥٧) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٩٤.

(٥٩) المصدر نفسه، ص٨٩، ينظر أيضاً ٦، ١٣، ٢٩، ٣٥، ٤٠، ٧٩، ٩٥، ٩٦، ١٩٢، ١٩٩.

(٦٠) المصدر نفسه، ص١٦٠ – ١٦١.

(٦١) المصدر نفسه، ص٥٦ – ٥٧، ينظر أيضاً ٤٢، ٦٨، ٧٤–٧٥، ٩٢، ٩٣، ٩٩، ١٠٠–١٠١، ١٠٣، ١٠٩، ١١١، ١١٦، ١٤٨.

(٦٢) المصدر نفسه، ص٢١.

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٧٨، ينظر أيضاً ص١٧٩.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١١٠، ينظر أيضاً ص١٥٦.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٧٧–٧٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(٦٧) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٦٩) المصدر نفسه، ص١.

(٧٠) المصدر نفسه، ص١.

(٧١) المصدر نفسه، ص٢٠١-٢٠٢ . . . وغيرها.

(٧٢) المصدر نفسه، ص١-٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ص٢١.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ص٤٢-٤٣.

(٧٦) المصدر نفسه، ص٣.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٢٠٤؛ ص١-٣.

(٧٨) المصدر نفسه، ص١٦٧.

(٧٩) المصدر نفسه، ص٢٠١-٢٠٢.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٩١-٩٢ ينظر أيضاً ٤٢، ٥٦، ٦٨، ٧٤-٧٥، ٩٣، ٩٩، ١٠٠-١٠١، ١٠٣، ١٠٩، ١١١، ١١٦، ١٤٨.

(٨١) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٨٢) المصدر نفسه، ص١٧٦.

(٨٣) المصدر نفسه، ص٣١.

(٨٤) المصدر نفسه، ص١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١١٧، ١٧٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص١٣٠، ١٣٦.

(٨٦) المصدر نفسه، ص١٣٦.

(٨٧) المصدر نفسه، ص١٧٥، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٣.

(٨٨) المصدر نفسه، ص٨، أنظر أيضاً ص٣٢، ٣٧، ٤٣، ٤٤، ٥٣، ٥٨، ٦٦، ٧٢، ٧٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٧، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٩٣.

(٨٩) المصدر نفسه، ص٦٥، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٩٠، ٩٢، ١١٩، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠.

(٩٠) المصدر نفسه، ص٥، ٢٣، ٥١، ١٥٧، ١٧٧، ١٩٤، ٢٠٤.

(٩١) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٩٢) المصدر نفسه، ص٣.

(٩٣) المصدر نفسه، ص١٤.

(٩٤) المصدر نفسه، ص١٤٨ ينظر أيضاً ٥٠، ٩٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٨.

(٩٥) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٩٦) المصدر نفسه، ص١٦١.

(٩٧) المصدر نفسه، ص٨.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٩٩) المصدر نفسه، ص٩٤.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص١٤٧–١٤٨.

(١٠١) المصدر نفسه، ص١٥٥.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص٢٠.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص١-٣.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص٣.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص١١٠، ١٤٥.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص٢٠.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(١١٠) المصدر نفسه، ص١٧٠-١٧٢.

(١١١) المصدر نفسه، ص١١.

(١١٢) المصدر نفسه، ص١١٣.

(١١٣) المصدر نفسه، ص١٩١.

(١١٤) المصدر نفسه، ص٧٧-٧٨.

(١١٥) المصدر نفسه، ص٩٣.

(١١٦) المصدر نفسه، ص١٥٤.

(١١٧) المصدر نفسه، ص١٦٨.

(١١٨) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(١١٩) المصدر نفسه، ص١٧٠-١٧٢.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص١٨٩.

(١٢١) المصدر نفسه، ص١١.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص١٣.

قائمة المصادر

ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني.

١- التاريخ الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طلعات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ب.ت) .

٢- الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر ودار وبيروت، ١٩٦٥) .

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣) . ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي.

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: مطابع كوستاسوماس وشركاه، ب.ت) .

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٧٧) .

الذهبي، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

٦- العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت) .

٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦) .

السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي.

٨- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٠) .

أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن .

٩- الذيل على الروضتين (ترجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤) .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك.

١٠- الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر (بيروت: دار صادر، ١٩٦١) .

ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي.

١١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، ب.ت) .

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة .

١٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨) .

١٣- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (بيروت: مطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٨) .

الكتبي، محمد بن شاكر .

١٤- فوات الوفيات والدليل عليها، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٧٣) .

ابن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي .

١٥- البداية والنهاية (بيروت: دار ابن الأثير، ١٩٦٧) .

ابن المستوفي، شرف الدين أبي البركات المبارك ابن أحمد .

١٦- تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن السيد خماس الصقار (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠) .

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد .

١٧- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة (بيروت: دار الثقافة، ب.ت) .

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي.

١٨- معجم الأدباء (بيروت: دار المستشرق، ب.ت) .